

## التحليل النفسي كآلية لمقاربة الأدب الكولونيالي

إن إحساس الغربي بامتلاكه للقدرة الكلية يعني استغراق الغربي المستمر في عالم الوهم والرهبات من أجل أن يشعر بالرضا الكلي عن نفسه، ويبين الناقد كاه تضاريس هذه الثيمة في النص الموجز التالي الذي اقتطفه من رواية جوزيف كونراد "قلب الظلام". يقول كونراد في هذا النص "إن الشيء الوحيد والأول الذي اكتشفته هو أن اتجاه وجهتي كان ثمة وجه أسود ومغلق العينين. إنه الرأس الذي بدا دائما على قمة الصعود، وهو ذو شفاه منكشحة تظهر خطأ أبيض ضيقاً لأسنانه. كان يبتسم أيضاً". يكشف هذا النص الصغير عن صورة نمطية للإنسان الأسود كما هي مرسومة في لاوعي الكاتب الكولونيالي الغربي وهو كونراد، ولاشك أن سيل النعوت المتعاقبة التي سلح بها كونراد هذه السردية لوصف فيزيولوجية الأسود يهدف من ورائها بوعي أو دون وعي منه إلى تصوير هذه الشخصية السوداء بشكل سلبي على نحو تام، وبذلك فقد تمكن من صنع حالة ارتباك تجاه شكل ولون هذا الشخص الأسود، وفضلا عن ذلك فإن هذا النص لا يكتفي بتصوير الجانب الفيزيولوجي من شخصية الأفريقي فقط، وإنما نجده يتضمن على نحو موارب سخرية من وجوده ككل، أي أن غاية منتج النص الكولونيالي، وهو جوزيف كونراد، هو إقناع القارئ بعجز هذا الإنسان الأفريقي وانحطاطه وتخلفه.



### الشرق يماثل المرأة التي يتوهم الغرب أنه يرى فيها ذاته المتضخمة ولكنه لا يرى فيها نقائصه وسلبياته

وفي مكان آخر من هذه الدراسة الموسومة بـ"موضوع الاستعمار المفقود" بين الناقد بان كاه، وذلك بواسطة استخدامه لمنهج التحليل النفسي، أن النصوص الأدبية الاستعمارية في جزء كبير منها هي إسقاط نفسي وإزاحة تخيلية. على ضوء ما تقدم فإنه يمكن لنا أن نستنتج أن تحليل أبنية لاوعي الكاتب المستعمر الغربي نفسياً ستؤدي بنا ليس فقط إلى معرفة جزئيات صور الشعوب المستعمرة في لاوعيه. وهكذا نفهم أن تحليل النصوص الكولونيالية نفسياً لا يقدم تمثلات نمطية غير واعية للمستعمر (يفتح العين) فقط، وإنما تكشف أيضاً عن عقد وإسقاطات وإزاحات المستعمر (بكسر العين) ودراستنا لها سوف ندرک أن العالم الاستعماري ليس أحادياً وإنما هو عالم الثنائيات المتضادة المتشابكة التي تعكس بعضها البعض مثل السائر وظله.



جوزيف كونراد ممن كتبوا برؤية استعمارية

أزراح عمر  
كاتب جزائري



عثرت مؤخرا على دراسة مهمة كتبها ناقد صيني وهو الدكتور بان كاه، الذي تعرّف على إطار ندوة فكرية حول العنف الاستعماري انعقدت بجامعة لندن الشرقية. لقد عمل الدكتور كاه كاستاذ للأدب المقارنة في جامعة كورنيل الأميركية ولا يزال يواصل نشاطه الأكاديمي في جامعة سنغافورة. تحمل هذه الدراسة عنوان "موضوع الاستعمار المفقود" التي تقدّم فيها مقاربة تحليلية نفسية لنصوص أدبية استعمارية.

منذ البداية يعلن الدكتور كاه هكذا "إنني أرغب في إثارة هذا الموضوع غير أنني لست بمحلل نفسي، كما أنني أملك معارف قليلة العمق بخصوص هذا الموضوع أي الاستعمار. إن الذي يثير لدي الرغبة هو فائدة التحليل النفسي في فتح الفضاءات، ومنح إمكانيات لتأويل الخطابات التي دونه تبقى مغلقة. وهكذا فإن سيغفوند فرويد يؤكد منذ البداية على أن المعنى ليس متميزاً بحسب، وإنما هو أيضاً جزء من النظام السيميولوجي".

ويضيف كاه شارحاً أسباب استخدامه لمنهج التحليل النفسي لمعالجة موضوع الاستعمار "إن التحليل النفسي يرى نوعاً ما، وعلى نحو ملامح، الموضوع على أنه ليس مجرد صوت تعبيرية ذي امتياز، وإنما يراه على أنه اللاوعي". ويقصد أن إدراك بنية السطح لموضوعات الاستعمار، بما في ذلك النصوص الأدبية بالدرجة الأولى، هو عمل تحليلي نقدي ناقص، ولكي يكتمل فإنه لا بد أن يتزامن مع تحليل البنيات المضمرّة اللاواعية فيها وتعميق عملية سبر واكتشاف الجوانب التي يعطيها لاوعي المستعمر من صور، وأحلام وهوامات. في هذا السياق نفهم أن التحليل النفسي هو بمثابة آلية ناجحة تساعد ناقد العمل الأدبي الاستعماري على إبراز عقد المستعمر من جهة، والكشف من جهة أخرى عن العلاقة الهوائية والمرضية التي يقيمها هؤلاء مع المجتمعات التي يحتلونها. وفي هذا الشأن نجد أن الشرق يماثل المرأة التي يتوهم الغرب أنه يرى فيها ذاته المتضخمة، ولكن هذا الغرب الاستعماري لا يتعامل مع هذه المرأة على نحو يرى فيها نقائصه وسلبياته وجمال مدنيته في الوقت نفسه، وإنما يتعامل معها تعاملاً نرجسياً استعلائياً، حيث يختزل وتلفيتها في أن تعكسه فقط كصاحب القدرة الكلية والحضور الكلي. يلاحظ الناقد بان كاه أن الموضوع المتكررة في أدبيات الكتاب الإنكليز المكرسة للتلميع وتبرير وتسويق الأيديولوجية الاستعمارية تتلخص جوهرياً في وصف الغربي بالكفاءة وإماتال الدقة، أما عندما يتعلق الأمر بوصف الشرقي، أو الأفريقي، فإن كتاب تلك النصوص الأدبية ينكرون عليه هذه الصفات والقدرات.

وقدم فوزي على مدى مسيرته الفنية أكثر من 30 أغنية وطنية أجمعت الإذاعة المصرية عن إذاعتها سواء في حياته أو بعد رحيله إلى درجة أننا أصبحنا لا نعرف من أغنياته الوطنية سوى أغنيته الشهيرة "بلدي أحبت يا بلدي".

ودون أي مبررات مفهومة أو منطقية تسببت الدولة في تعرض فوزي لكبر محنتين في حياته الأولى أخذت منه ماله وثورته بعد موقفها من شركة مصر فون ومصنع الشرق للاستطوانات، والأخرى أخذت منه صحته وحياته حين تركته فريسة للمرض شهوراً طويلة يعانى العجز والعوز حتى وفاته.

يبقى أن نشير إلى أن الكتاب وثيقة مهمة لمسيرة حياة محمد فوزي الموسيقية والغنائية والسينمائية والإنسانية، هذا العبقرى الذي لم يكن يبالي بشيء سوى حبه وإخلاصه لوطنه وفنه، لكن للأسف كان جزاؤه التكرار لقيمته وسلب ماله وثورته وشركته ومصنعه ومطاردته والتحقير من شأنه، والعزاء الوحيد لنا الآن أنه بقي شامخاً ومن اضطره ذهبوا إلى مزبلة التاريخ مشوهين.

## عبقري الموسيقى المصرية ذهب ضحية لسلطة جمال عبدالناصر

### ناقد مصري يفصح اضطهاد حكام ثورة يوليو لمحمد فوزي



محمد فوزي مع جمال عبدالناصر.. ضحية وجلادها

تعرفها الحياة الفنية في مصر من قبل ولا من بعد. ومن ثم غلت يدا محمد فوزي داخلياً وخارجياً في تمويل وتوزيع أفلامه بخلاف المبالغ التي تكبدها في التجهيز لهذه الأفلام. كما وقعت إثارة حالة من الكراهية بين السينمائيين تجاهه وصلت إلى حد التقليل من موهبته والتحريض عليه، ومثال على ذلك الرسالة المفجعة التي بعث بها المخرج حسين فوزي سنة 1959 إلى شركة بهنا فيلم موزع أفلام محمد فوزي التي يدعو فيها عمله بالسخيف.

هكذا اكتشف المخرج حسين فوزي بعد 12 عاماً من التعاون مع محمد فوزي أنه ممثل فاشل، ومحدود الموهبة، وهو الذي أخرج له من قبل فيلميه الشهيرين "صباح الخير" مع صباح عام 1947 و"يا حلوة الحب" مع زوجته وقتئذ، نعيمة عاكف، سنة 1952، وهكذا رأى حسين فوزي أن الفيلم السابق على عرض "اللي بنت الشاطي" (يقصد كل دقة في قلبي) فيلم سخيف، وهكذا اعتبر إيرادات "اللي بنت الشاطي" سيئة بعد أيام فقط من عرضه.

وقدم فوزي على مدى مسيرته الفنية أكثر من 30 أغنية وطنية أجمعت الإذاعة المصرية عن إذاعتها سواء في حياته أو بعد رحيله إلى درجة أننا أصبحنا لا نعرف من أغنياته الوطنية سوى أغنيته الشهيرة "بلدي أحبت يا بلدي".

ودون أي مبررات مفهومة أو منطقية تسببت الدولة في تعرض فوزي لكبر محنتين في حياته الأولى أخذت منه ماله وثورته بعد موقفها من شركة مصر فون ومصنع الشرق للاستطوانات، والأخرى أخذت منه صحته وحياته حين تركته فريسة للمرض شهوراً طويلة يعانى العجز والعوز حتى وفاته.

يونيو، والاستفتاء على رئاسته وعلى الدستور الذي وضعه في 23 يونيو، وتأميم الشركة المصرية لقناة السويس في 26 يوليو، ونهاية العدوان الثلاثي على مصر في 23 ديسمبر. باختصار لقد خرج عبدالناصر من عام 1956 زعيماً أوحداً لا ينازعه على السلطة أحد، وأضعا كل أعدائه ومعارضيه خلف ظهره، ومن ثم بدأ هو أو على الأقل مؤسسته الرئاسية في تصفية الحسابات القديمة مع الخصوم ومن يدينون بالولاء لهم".

ويتابع "ثانياً، يؤكد شهود العيان وصحف تلك الفترة أن ودا متبادلاً كان يجمع بين اللواء محمد نجيب ومحمد فوزي، وهذا ما بدا من المناسبات التي شارك فيها والصور التي التقطت له في هذه المناسبات، إلى الدرجة التي باتت فيها فوزي محسوباً على نجيب أحد خصوم عبدالناصر، تماماً مثلما حدثت للطرسة ليلى مراد، وأن عام 1956 نفسه كان بداية إجبار ليلى مراد على الاعتزال بالتضييق عليها في كل مشاريعها الفنية".

### التضييق القاسي

يرصد غريب مظاهر التضييق على فوزي وهي ليست مجرد مضايقات ولكن فنية مفهومة، فبعد أن قدم للسنيما أربعة وثلاثين فيلماً في 12 عاماً بين عامي 1944 و1956 لم يقدم في سنواته العشر الأخيرة سوى فيلمين فقط، وبالتحديد عام 1959 قبل سبع سنوات كاملة من رحيله، فما هو لغز عام 1956؟ وما هي شواهد هذه السنوات الجفاف؟

يجيب غريب عن تساؤليته الأخيرين في نقطتين أعقبهما بإيضاحات تكشف الجريمة التي ارتكبت في حق فوزي، هذا الموسيقار الحاضر حتى الآن بإرثه الفني الخالد، يقول "أولاً؛ على المستوى التاريخي والسياسي كان عام 1956 عاماً مختلفاً في حياة الرئيس جمال عبدالناصر، إنه العام الذي شهد جلاء القوات البريطانية عن مصر في 18

مع قادة الدول كجمال محمد عبدالوهاب وأم كلثوم اللذين تدخل الملك عبدالعزيز آل سعود شخصياً سنة 1953 من أجل عدم مصادرة أموالهما، ولوفر على نفسه الكثير من المشكلات".

ويضيف غريب الذي استعرض مسيرة حياة فوزي بأسلوب راق وممتع حيث يؤكد أن الفنان كان مطرباً وممثلاً أحب بلده وفنه، وأخلص لهما وترفغ لخدمتهما فغابت عنه العديد من الحقائق التي كانت ضرورية لحماية مكانته.

يرصد غريب كل ما قدمه فوزي لثورة 1952 من غناء ومشاركة في إحياء الحفلات والمشاريع القومية لها، حيث لم يترك حدثاً وطنياً إلا وغنى له، غنى "النصر لمصر" و"أموت وتسلم أرضها" في العدوان الثلاثي 1956، و"رسالة إلى جندي"، نعم كان ذلك ميلاً لمحمد نجيب ولكنه ميل لبلده وليس لشخصه، وانتهى الأمر عذب تحية نجيب، لكن جمال عبدالناصر ومن حوله لم ينسوا له ذلك.

يقول غريب "لقد كان فوزي مسانداً لمبادئ الثورة وداعماً لكل توجهاتها، ولم يتخلف يوماً عن التعبير عن حبه لبلده قولاً وفعلاً، دون أن يورط نفسه بالكلام في السياسة، لذا كان من الملفت جداً دخوله في سنوات عجاف على مستوى نشاطه الفني بداية من عام 1956 دون أي أسباب فنية مفهومة، فبعد أن قدم للسنيما أربعة وثلاثين فيلماً في 12 عاماً بين عامي 1944 و1956 لم يقدم في سنواته العشر الأخيرة سوى فيلمين فقط، وبالتحديد عام 1959 قبل سبع سنوات كاملة من رحيله، فما هو لغز عام 1956؟ وما هي شواهد هذه السنوات الجفاف؟

يجيب غريب عن تساؤليته الأخيرين في نقطتين أعقبهما بإيضاحات تكشف الجريمة التي ارتكبت في حق فوزي، هذا الموسيقار الحاضر حتى الآن بإرثه الفني الخالد، يقول "أولاً؛ على المستوى التاريخي والسياسي كان عام 1956 عاماً مختلفاً في حياة الرئيس جمال عبدالناصر، إنه العام الذي شهد جلاء القوات البريطانية عن مصر في 18

الكثير من الفنانين يواجهون الانقلابات السياسية في بلدانهم ليكونوا أول ضحاياها، ومن هؤلاء الموسيقار والممثل المصري محمد فوزي، الذي اغتال أحلامه ودمر مسيرته النظام السياسي الجديد بمصر في أواخر خمسينات القرن الماضي، وصودرت حقوقه المادية والفنية، إلى مماته كمداء.

محمد الحماصي  
كاتب مصري



يرى المؤرخ والناقد السينمائي أشرف غريب أن في حياة محمد فوزي محنتين غاية في القسوة، بنوء حمل إحداها فقط أعتن الرجال، فما بالنا لو اجتمعنا لدى شخص واحد وفي فترة واحدة تقريباً، بل إن إحدى المحنتين كانت سبباً في بروز الأخرى. ويضيف "المحنة الأولى كانت بطبيعة الحال قرار تأميم شركة مصر فون واستيلاء الدولة على ثروته التي ظل سنوات طويلة يعمل على جمعها تأميناً لفنّه ومستقبل أبنائه، وأيضاً خدمة للاقتصاد الوطني على النحو الذي بات معروفاً الآن. أما المحنة الثانية فكانت الأوصاب والأشد قسوة وهي تعرضه للإصابة بالمرض اللعين الذي أخذ من عمره سنواته الأربع الأخيرة، ولم يتركه سوى جسد بلا روح بعد أن تجاوز الثامنة والأربعين من عمره بقليل.

### مصادرة حياة

يقدم غريب في كتابه "محمد فوزي.. الوثائق الخاصة" الصادر عن دار بتانة محاولة جادة ومخلصة لاستجلاء كل ما يتعلق بسيرة حياة الموسيقار والممثل والمطرب والممثل والمنتج العبقرى محمد فوزي، مستعينا بمجموعة من المستندات والوثائق التي لا تحتمل الشك فيها أو المزادة عليها. حيث لا يفصل بين سيرة الحياة والعصر اللذين عاشهما فوزي منذ ولادته سنة 1918، وأثاره الإبداعية وانعكاساتها بجلوها ومرها عليه إنسانياً وفنياً. متطرقاً إلى الكثير من التفاصيل المهمة ومنها ملف امتلاكه لشركة مصر فون التي حرمتها الدولة منها وهو الذي استاجر أرضها وأقام عليها مصنعا للإسطوانات وجهزه بأحدث المعدات، لتنتج نجاحاً كبيراً، لكن "ذات صباح ذهب فوزي إلى شركته ومصنعه فوجد كثيراً من الجنود وحركة غير معتادة في المكان وعندما دخل مكتبه وجد رجلاً يجلس مكانه ويعبث بأوراقه ويضع قدميه على المكتب في وجهه، وقد أخبره أن قرارات يوليو الاشتراكية قد شملت شركته".

### الكتاب وثيقة مهمة

### لمسيرة حياة محمد فوزي الموسيقية والسينمائية والإنسانية ومحاولة جادة ومخلصة لاستجلاء خفاياها

ما فعله حكام ثورة 1952 لمحمد فوزي لم يكن سوى مذبحه خصص بها فوزي لكونه كان مستقلاً في ما يفعل ولم يكن مجرد تابع، يقول غريب "لو أن فوزي كان قد استوعب جيداً مشهد ذهاب أم كلثوم بعد أيام قليلة من قيام ثورة يوليو 1952 إلى مبنى الإذاعة المصرية من أجل التخلص من كل أغنياتها التي كانت قد غنتها للملك فاروق قبل الثورة، ونشرت مجلة الكواكب في عدد 5 أغسطس 1952 صورة وهي تفعل ذلك، ربما كان قد تجنب كثيراً مما وقع فيه لاحقاً، لو كان له أصدقاء ومستشارون مخلصون وعارفون بيوطن الأمور ودهايلز ما يحدث كمصطفى أمين وفكري أباطة، اللذين أشارا على كوكب الشرق بهذا التصرف السريع، ربما تحول محمد فوزي إلى نجم هذه المرحلة الثورية، ولو أنه أحاط نفسه بشبكة من العلاقات